



روابط الهند مع بلاد آسيا في القرن الثالث قبل الميلاد

للاستاذ ر . ك . دكشت

لقد جادت الطبيعة على الهند بحدود وحواجز صامدة لاتذلل ،
بيد ان لم يقدر للهند ان تعيش منعزلة عن العلم منزوية في عقر دارها .

فقد تسربت اليها بين الحين والآخر جموع اللاجئين والغزاة بطريق
الممرات الجبلية في كلتا الفترتين - فترة العهود القديمة وفترة العهود الوسطى ،
بينما اضطر دفاعها الاقتصادي الى فتح الابواب للوافدين اليها في الماضي
القريب .

لقد توطدت بين الهند وجيرانها من بلاد آسيا اواصر متينة تسبق
التاريخ بقرون ، وتجعد آثارها مبعثرة في آداب الهند القديمة وخاصة في
الاساطير وقصص پورانا التي تعالج جغرافيا العالم .

ومن الاغلب ان الآريين الذين خلعوا على الهند بهذه الثقافة السنية
والذين لهم شأن خطير في تحويلها الى الطابع الآري هم قوم من الاجانب
ارومة وجرثومة التجأوا الى هذه البلاد في زمن من الازمان . هذا على
رغم انهم لا يذكرون ارتباطهم باى قوم آخرين سوى الهندود . وهم
اعتقدوا ان موطنهم الاصلى هو سابتا سندھو وسموه ديواكریتا او ديوا
نيرميتا ديسا .

وذهب ماكس مولر الى ان وطنهم مناطق آسيا الوسطى بينجاري
ادفارد ماير انه سهول پامير^٢. وطن طائفة انهم من سكان منطقة
اوربية، عينها كل مؤرخ حسبما تجلى له الحق.

ومهما كان موطن الآريين فمن الواضح الجلى انهم يشبهون كثيرا
اخوتهم من سكان فارس، وعليه تدل كتبهما الدينية من ريج فيدا وافيستا،
فقد تقاربت فكرة ولغة وثقافة اى تقارب حتى زعم بعض الكتاب وادعى:
«وضلا عن الكلمات او اجزاء الجمل من اللغة الهندية تيسر للجمل
والعبارات ان تستبدل بامثالها من اللغة الايرانية بدون ان يمس
ترتيبها المعاني تعيرما».

وهناك من الشواهد على ان وجدت الروابط بين الهند وسوريا
وبلدان آسيا الصغرى منذ الالف الثانى قبل الميلاد. ومحتوات بوغازكوي^٤
المنتمية الى حوالى ١٤٠٠ قبل الميلاد، والتي سجلت الروابط القائمة بين
الملوك الحثيين والميتانيين، تشمل اسماء آلهة اعتبروها كنخمة هذه الروابط.
فضمائى الاسماء هذه اسماء الآلهة الرجفيدية من امثال ميتا^٥ فارونا^٦
اندرأ^٧ ناسيتيا^٨ وغيرخاف عليك ان كلماتها اقرب استنباطا الى الرجفيدية^٩
منها الى الافاستا^{١٠}.

Pamir Plateau (٣) Edward Meyer (٢) Max Muller (١)

Nasatya (٨) Indra (٧) Varuna (٦) Mita (٥) Boghazkoi (٤)

• Avastan (١٠) Rigvedic (٩)

والى هذا العهد يرد تاريخ كتابات واساطير تل الامانيا^١ التي حلت فيما حلت على ذكر عديد الامراء الميثانيين مع أسمائهم السنسكريتية مثل آرتمانيا^٢ وتوسراتا^٣ وياسداتا^٤ وسوترنا^٥.

ولكن الآريين- ليسوا بحال من الاحوال اول الاجانب الذين دخلوا ارض الهند ، وكيف ، فقد قيل عن الدرافيديين^٦ انهم ليسوا من سكان هذه البقاع الاصليين أيضا .

وايا ما كان كتاب الحضارة ومسجلوا الثقافة الحجرية لوادى اندس^٧ وسائر المناطق هذه فهناك ما كفى شاهدا على ان وجدت بينهم وبين معاصريهم في اور^٨ وكيش^٩ وسوسا^{١٠} ولوكاست^{١١} واومينا^{١٢} والتل الاسمر^{١٣} روابط مشتركة مستمرة .

ثم وطى ارض الهند قبل العصر الفيدي عديد المهاجرين ، انسلوا اليها من شتى ارجاء آسيا من الايرانيين الى اليونانيين البكتيريين من البارثيين^{١٤} الى التاسيين^{١٥} من اليوتشيين^{١٦} الى الهون^{١٧} واندجوا باجمعهم بالحياة الهندية اندماجا كاملا حتى لم يعد شئ من امتيازاتهم الاوقد انطمس وانمحي واصبحوا من الهنود حلقة مفرغة لا يدرى اين طرفاها . ولهم في سبيل الثقافة والتقدم خدمات ثمينة اسدوها في المرافق المختلفة .

Artamanya (٢) Tel - el - Amania (١)

Dravidians (٦) Suttarna (٥) Yasdata (٤) Tusratta (٣)

Lugast (١١) Susa (١٠) Kish (٩) Ur (٨) Indus (٧)

Parthians (١٤) Tell - Asmar (١٣) Umania (١٢)

• Huns (١٧) Yuchchis (١٦) Seythians (١٥)

وايانا ان نحسب ان لم تتوطد بين الهند وجاراتها علاقات الابواسطة المهاجرين ومهاجماتهم . فقد كثر في الحقلين السياسى والتجارى ايضا روابط مرموقة ، بيد ان لم يصل الينا عنها الاقليل لايتمتع عليه . وخاصة عما يتصل بالعصور السابقة على عصر الموريين نعم ، عندما نشأت الامبراطورية المورية فى الهند والساقية فى سوريا تطورت الشئون وتحسنت من ذى قبل . ورفع الموريون التشندرجوتيون فى الهند والسلوقيون فى سوريا رأسهم اندادا واعداً بعضهم لبعض ولم يعودوا احبة واصدقا ، فيما بينهم فاحاط بهم آذق الوشائج السياسية - وشائج تين الدولتين فى آسيا برمتها .

وكما افادنا الكتاب الكلاسيكيون ، نعرف ان بعث السلوقيون الميعائنين الى بلاط الموريين سفيرا منهم قضى الميعائنين فى بالى بوترا من عمره سين . ثم فوض الانتيو شوز مهمة السفارة الى وايمانشوز الذى وصل سفيرا الى بلاط بدوسارا . وانا لنجد من ذكر الميعائنين فيما وصل الينا من تاريخ الموريين والاحداث المشتتة عنهم وان نعتد بقول بلىنى فكان بطليموس مصر ايضا ارسل له سفيرا الى الهند فى ذلك العهد اوفيا جاره . ولربما قدم هذا السفير اوراق الاعتماد ما قدم الى بدوسارا او بحله النبيل اشوكا . ثم ساعدت العلاقات السياسية بين الدولتين على تعزيز اسس الروابط الاخرى وتقريب بعضها الى بعض . وزعم ايان ان راجت بينهما - الموريين والسلوقيين - المناخلة ايضا بينما اشار استرابو الى قيام علاقات اخرى مثلها . وانا نجد فى هذا الصدد بضع قصص طريفة تثبت وجود عرى الصداقة بين هاتين الاسرتين الامبراطوريتين . ذكر آثينائين ان الامبراطور المورى ارسل كهديّة مجموعة من العقاقير الهندية كما

الشمس نجمه من معاصره السيلوقي في ان يرسل اليه الخمر اليوناني والتين واحد الفلاسفة من عنده . فارسل الخمر والقين فوراً واعتذر السيلوقي عن ارسال الفيلسوف ومن المؤسف ان لم يذكر الكتاب الكلاسيكيون هل كان الموريون ايضا ارسلوا سفراء منهم أم لا . والاغلب انهم فعلوا ذلك ، لان الكوتيليا - الفلستني والبناء الشهير ناشئة زمانه يلزم الملك ان يكون يقظاً حذراً وعلى المام بنشاطات الجيران بواسطة الجواسيس والسفراء . وخصص الكوتيليا من ارتها شاسترا بابا مستقلاً بسط فيه عن الميزات والكفاءات التي يجب ان يحملها السفراء .

ومن المرحب به عند كل مشغوف بالتاريخ ان يلتقي الضوء على روابط الهند مع جاراتها مصدر قلما يتوقع مثله من مثله . اعنى مسلات اشوكا ٢ ، ٥ ، ١٣ ، فقد ذكر فيها اسماء الملوك الذين ارسل اشوكا سفرائه الى حكوماتهم . الاوهي امتي بوكا ، دولة پورا الملك اليوناني الانطاكي ٢ وملك سوريا الذي كان اقرب جيران الهند على الجانب الشمالي الغربي وتورا مايا واذائي تيه كينا وماكا وآلي كاسوني دارا الشهير بـ « بطليموس » مصر وآتي جونوس جونوتاس لمقدونيا وما جاس لسيرين واسكندر لاپيروس اورالكورنث الذي وقعت مملكته وراء ملكة الانطاكي . وكان هؤلاء جميعا من معاصري اشوكا . وعلاوة على ذلك كان تمبايني (تامرا پرنى ، السيلان) في الجنوب ممن انشأ معهم اشوكا روابط دبلوماسية .

والجدير بالملاحظة ان لم تكن العلاقات محض علاقات دبلوماسية ، بل كانت مستهدفة دعم السلام وتوطيد الصداقة والوثام التي لم تجد ولن تجد البشرية من دونها ملتحدا .

وحدث أحيانا أن أستهزى بإرسال السفراء والبعثات هذه الى بلاد الغرب بأنه من خزعلات ملك جموح واظهار لكبريائه ليس الا . لكننا نجد في ماهاقاسا له شواهد عديدة . ففيه ان ارسلت في عهد اشوكا بعثات بوذية الى يافانا او اليونان بالاضافة الى ارسال امثالها الى بورما وسيلان . وايضا الفيا في سامان تهاپاسادى كما ذكر بعثة ارسلت الى يورانتها . اما البعثة الى سيلان فكانت تحت رئاسة نجل الامبراطور وكريمته - مهندرا وسانعا ميترا . والفضل في ذلك لملك سيلان ، فان الفضل المتقدم ، لانه سبق في ارسال بعثة الى الهند نزلت بتامراپتي . -

وعلاوة عن ذلك نجد ذكر بعثات عديدة تبودلت بين الهند والسيلان في هذه العمود . والى هذه البعثات يرجع ما نالت البوذية في الهند من الشيع والانتشار . ومن المعتقد ان اسست الروابط السياسية والثقافية على التجارة المتبادلة بين الدولتين . فكانت افيال الهند تستوفي اثمانا باهظة في اليونان التي كانت في اشد حاجة اليها لتقوية الجيوش . وما احزره السيلوقيون من نصر ساحق في حرب ابيسوس فليس الا بفضل هـ . فيل كان الامبراطور الهندي تشندرجوبتا قدما اليهم .

واضف الى ذلك ما ذكرناه سالفا من طلب الا باطرة الهندو التين والخر اليوناني من ملوك سوريا .

وكان الاتجار بين الهند والغرب اذ ذاك على نطاق واسع . فكانت المتاجرة مع مصر بطريق البحر الاحمر ومع سوريا بالخليج الفارسي والطرق البرية من وراء الممرات الشمالية الغربية .

فكان الملك الانطاكي قداجري في بلاده - علاوة عن العملة الاثينية - فبذة من نقود الهند تسهلا في التجارة معها .

وذكر آرتها ساسترا من كوتليا نبذة من احوال التجارة التي قامت بين الهند والبلاد الاجنبية في عهد الموريين ، والقي بها الضوء على القوانين الموضوععة للتصدير والاستيراد اذ ذاك . هذا ، وذكر فيما ذكر عددا من بلاد آسيا كانت منتجاتها ومصنوعاتها شائعة في اسواق الهند . فعلى سبيل المثال كانت الهند تستورد الحرير ومنسوجاته من الصين والاردية الصوفية من نيبال ، والفرس من بال هيكاً ، وشبه جزيرة العرب ، والجلود من بهلافا الواقعة على اطراف هملايا ، والخز من هاراهورا الواقعة على الاغلب بالقرب من كاپيسا في الجانب الشمالى الغربى ، واستوردت المجوهرات من پارا سامودرا الشهيرة بروهاناندري في السيلا ، والفحم من الاكندر . وهو ينبوع نهر باربرا - ومن ويورنا ، وهو كما قيل بحرواقع على مقربة من جزيرة يافاس . وايضا استوردت المجوهرات من كوتا وملايو والجزر الاخرى والفينا فيه ذكرنا عن جانا پادا ، للهن ، مع ذكر كندهارا وسوفرنا بهومي .

وان دل ما ذكرنا على شى فانما يدل على ان توطدت بين الهند وجاراتها اوثق العرى وحاكتها شتى الوشائج من التجارية الى الثقافية ومن الودية الى السياسية مما عادت عليها جميعا بارباح جسيمة وفوائد جمة اصلحت من شأنها السياسى والتجارى معا .